

الدعوة الدينية والدولة على ضوء الفكر الخلدوني (المرابطون انموذجا)
Religion and the state through the thought of Ibn Khaldun
Almoravid's as a model

منير شواكري

طالب دكتوراه، تخصص تاريخ حضارة المغرب الإسلامي

إشراف/ د. محمد بوشقيف

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان

الملخص:

عاش عبد الرحمن بن خلدون واقع المغرب الإسلامي على وجه الخصوص فوجده في غاية الهوان، فهو في تمزق بعد اجتماع وضعف بعد قوة، بمعنى آخر بدأت فكرة الدولة تختفي منه تدريجيا، مع إدراكه التام بأهمية وجود الدولة فهي أساس العمران البشري فكانت مصب اهتمامه في كتابه (المقدمة).
وقد فرق بين البدو والحضر وجعلهما يتباينان من حيث نحلة المعاش، والدولة عند ابن خلدون أساسها البداوة تقوم على أكتاف القبائل البدوية محركها العصبية القبلية، غير أن العصبية تبقى خاملة في الصنف الثالث من البدو وهم من كان معاشهم في الإبل فهم غائرون في البداوة قلما يجتمع رأيهم، كما أنهم لا يخضعون لسلطة وهم أبعد الناس عن الحضارة، فهذا النوع من البدو لا يحصل لهم ملك إلا بالدين أو الدعوة الدينية.
المثلثون في المغرب الأقصى ينتمون إلى الصنف الثالث من البدو، وقد ظهرت دعوتهم في فترة تفتش فيها الجهل والبعد عن الدين وكثرة البدع، وقد زادت الصراعات القبلية في الطين بلة، ولم يجدوا أحسن ما يجتمعون عليه من دعوة دينية مجددة تلتزم بمنهج التصفية والتربية، ورغم أن الدعوة المرابطية لم تخرج عن المذاهب الفقهية المعروفة (المذهب المالكي)، إلا أنها لاقت إعراضا ونفورا موجها في الغالب من قبل زعماء القبائل والفقهاء الذين أعرضوا عن الحق سواء لتمسكهم بالباطل أو لحماية مصالحهم، ورغم كل تلك الصعاب نجحت في تأسيس الدولة.
الكلمات المفتاحية: العصبية، الدعوة الدينية، الدولة، العمران البدوي، المرابطون.

Abstract

‘abd al-rahman ibn haldūn knew the reality of the medieval Maghreb, this vast territory populated mainly by the Berbers, these people were found in deviations while they were united and in weakness after power, in other words, the idea of the the state began to disappear little by little, while knowing the importance of the existence of the state because it is the centerpiece of all civilization, and for this purpose ibn haldūn devoted a big part of it in his book « al-Muqadima » (the introduction).

He separated the nomads and the inhabitants of the urban areas, based on their way of life, and by the first the state and founded, their mai

motivation a strong relation ship between the members of the same tribe, the latter known as « al-‘aşabīa » (العصبية).

But this « ‘aşabīa » and less motivating among the tribes of third position, Those who depend on camels in their lives, So they move away from urban places and rarely meet on opinion and more about a king, And so they are far from civilization and can not submit it except to a religion or a religious invitation.

The Almoravids known under the name « al-mulaṭamūn » الملتثمون (masked) of the extreme Maghreb in the Middle Ages belong to the class of the tribes of third position, this invocations appeared in a period of ignorance and Heresy, not to speak of tribal conflict, and by this situation she has not found better to reunite than by religion or religious vocation. despite the fact that both vocations have followed the schools of jurisprudence known (Malikite doctrine), All this can not prevent the hostility led mainly by the chiefs of tribes and jurists who are placed as opponent for they can protect their interests, but this has not prevented the establishment of this state.

Keywords: ibn ḥaldūn , al-‘aşabīa , religious vocation, Tribes, Almoravids .

المقدمة:

أصبح من البديهي التسليم بحقيقة الاجتماع البشري وضرورته لهذا الجنس، هذا الاجتماع الذي يعتمد على تكاتف الناس بعضهم ببعض فتتحقق بذلك سنة الله في خلقه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹. أدركت البشرية هذه الحقائق وعملت بمقتضاها، كما نظر لها المفكرون في كتاباتهم، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال أفلاطون في كتابه الجمهورية، وأرسطو طاليس في كتابه السياسة، والفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، والطروش في كتابه سراج الملوك، وابن خلدون في مقدمته. لكن الملفت للنظر في هذا النوع من النقاش هو ارتباط الفكر البشري بعامل مهم وهو العامل الديني، فتجده شديد التعلق به إيجابا وسلبا، ذلك أن معظم الدارسين لتطور المجتمعات البشرية لا يسعهم إلا التنويه بالوازع الديني وأثره في ضبط وتنظيم تلك المجتمعات في أحسن الوجوه، وبانعدامه أو خموله تتعرض هذه المجتمعات إلى الوهن والضعف.

لقد بين عبد الرحمن بن خلدون دور الدين أو الدعوة الدينية في نشوء الدولة، فخصّص لها أبوابا في مقدمته، لكنّه لم يعتبرها العامل الرئيسي، ذلك أن أصل نظريته في العمران البشري هي العصبية القبلية، وهي عامل أساسي تسموا بهم أبناء القبيلة لطلب الحكم والرئاسة محقّزهم هو المعاش (العامل الاقتصادي).

نحاول من خلال بحثنا هذا أن نسلط الضوء على العامل الديني وتبيان دوره في نشوء الدولة وفقا لما طرحه عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته، ومن ثم نسعى إلى دراسة عوامل نشوء الدولة المرباطية.

فما هي علاقة الدين بنشوء الدولة في العصر الوسيط؟ وما المحفز الذي يقدم الدعوة الدينية على العصبية القبلية لتأسيس الدولة؟ كيف تأسست الدولة المرباطية وعلى أي أساس؟

1- النمط المعيشي ودوره في تحديد أساس الدولة:

أ- صفة البداوة:

تقوم الدولة وفق مفهوم المقدمة على نوع من الخليقة وهم البدو، قال عبد الرحمن بن خلدون: (أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلاح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد)² وقد قسّمهم إلى ثلاثة أصناف، فالصنف الأول من كان معاشهم من الزراعة والفلاح وهم يتميزون بالاستقرار أكثر منه الظعن³، والصنف الثاني من كان معاشه من السائمة مثل الغنم والبقرة فهم ظعن في الغالب لأنهم دائمو البحث عن المسارح والمياه لحيواناتهم، ويسمون شاوية: أي القائمون على الشاة والبقرة غير أنهم لا يبعدون في القفر مخافة فقدان مسارحهم، أما الصنف الثالث فهم من كان معاشهم في الإبل (فهم أكثر ظعنًا وابتعد في القفر مجالا) لأن الإبل أصعب الحيوانات فصلا ومخاضا وأحوجها في ذلك إلى الدفء فاضطروا إلى إبعاد النجعة⁴. وهذه الأصناف حسب ابن خلدون تُحدّد وفق نحلة المعاش التي يعتمدونها كل منها، وكذلك مدى الاستقرار الحاصل لكل صنف وفقا لذلك، وبالتالي هذه الصفة هي ليست قارة فيهم ملتصقة بعرقهم وإنما هي من قبيل الطبع كما تقدّم معنا، ويمكن لها أن تتغيّر بفعل الحضارة.

ب- الفرق بين البدو والحضر:

يتميّز البدو ببقائهم على الفطرة الأولى وهي فطرة سليمة نقية، بعكس أهل الحضر الذين انغمسوا في ملاذ الحياة والترف ففسدت بذلك فطرتهم، إضافة إلى محافظة البدو على أنسابهم لعدم اختلاطهم بغيرهم، وهذا ما يضمن لهم شدة اللحمة كما أنهم غير مقبلين على الدنيا إلا بالمقدار الضروري للحياة، وكل ذلك لطبيعة معاشهم، فطريقة حياتهم تلزمهم الاقتصاد على الضروري من المأكل والملبس وغيرها من شؤون المعاش⁵. كما أن البدو معروفون بشجاعتهم التي اكتسبوها بعامل ابتعادهم عن الحواضر واعتزالهم في الضواحي والقفار⁶.

ج- أساس الدولة البدوية:

الدولة التي تدرسها المقدمة هي تلك التي تقوم في المجتمعات البدوية، بدليل أفراد ابن خلدون فصلا كاملا من مقدمته سماه (في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة)، فطور الدولة في أولها بداوة كما قال ابن خلدون⁷، وفي هذا النوع من المجتمعات تقوم الدولة على أساسين اثنين:

ج-1 العصبية القبلية⁸:

إن الصراع العصبي يكاد يكون مستمرا بين مختلف العصبية سببه الرئيسي هو المعاش (القتال على مصدر الرزق)، والعصبية القبلية تلعب دورا هاما وأساسيا في هذا الصراع، معتمدة على عامل النسب حقيقيا كان أو وهميا⁹. والذي يعتبر الرابط المقدس داخل نفس العصبية، فيحركها لتحقيق المصلحة المشتركة لأفراد القبيلة¹⁰. وقد بين الباحثون أن هذا الصراع العصبي يكون على شكل ثلاثة توازنات مستوحاة من مبحث (في أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك من المقدمة¹¹، فالأول توازن قائم على تكافؤ عصبيتين قويتين، والثاني توازن تضمنه هيمنة عصبية على العصبية الأخرى، والثالث توازن بين العصبية المتغلّبة ودولة قائمة لا تزال قوّة¹². غير أن التوازن الثاني هو الذي يفضي إلى نشوء دولة جديدة.

ج-2 الدعوة الدينية:

أولاهما عبد الرحمن أهمية قصوى في نظريته فخصّص لها فصل في الباب الثاني وثلاثة فصول في الباب الثالث من مقدّمته فيقول في الفصل السابع والعشرون من الباب الثاني أنّ العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة¹³، ومن الباب الثالث الفصل الرابع: في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة

الملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق¹⁴، والفصل الخامس: في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت من عددها¹⁵، والفصل السادس: في أن الدعوة الدينية من غير العصبية لا تتم¹⁶.

حيث إن الدولة التي تمتد في الزمان والمكان غالبا ما تقوم على أساس ديني، لأن اجتماع أهواء الناس على الحق وعلى كلمة واحدة ينتج عنه إتحاد الجهود نحو وجهة وهدف واحد، تاركين خلفهم التنافس والخلاف، ثم إن أهل العصبية التي هذا حالها يحصل لهم نوع من الرهبانية فهم يطلبون أمرا هو أسى من الدنيا، فتجدهم يستميتون عليه دون مراعاة النتائج أو الطمع في تحصيل الثمرات، وكل هذا يرفع من شأن تلك العصبية فتتغلب على باقي العصبيات التي تكون مفتقرة لهذا العامل، وهو عامل الدين أو الدعوة الدينية.

حتى هذا الحد يكون للدين أو الدعوة الدينية دورا مكملًا للعصبية وموقظًا لها في بعض الحالات، كالمنشط الذي يزيد من حيوية العصبية وينقحها من الشوائب التي كانت سببا في فتورها، غير أن الدعوة الدينية لا يمكنها لوحدها تأسيس الدولة فهذا لم يتحقق حتى للأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد، فقد آزرهم الله بمن يعينهم، قال صلى الله عليه وسلم: «ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه»¹⁷ فحري أن يكون غيرهم أعجز عن ذلك¹⁸.

ج-3 دولة لا يحصل لها ملك إلا بالدين:

هنا يأتي ابن خلدون بالاستثناء إن صح التعبير في علاقة الدين بالعصبية والدولة، وذلك متحقق في الصنف الثالث من البدو الذين كان (معاشهم في الإبل)، وهذا النوع من البدو لا يحصل لهم ملك إلا بالدين¹⁹، ومرد ذلك إلى أنهم يمتازون بالخشونة والتوحش الذي هو جبلة فيهم، فهم غائرون في البداوة منعزلون عن المدن والحواضر، هذا ما أورثهم الغلظة والأنفة عن الانقياد فنادر اجتماع رأيهم²⁰ وهم يسعون وراء تحصيل رزقهم الذي هو تحت ظل رماحهم، ليس لهم حد في ذلك نتيجة شعورهم بالإقصاء، وكل ذلك راجع لطبيعة عيشهم²¹، وهم كذلك لا يعتبرون بسلطة كما أنهم لا يعيرون اهتماما بالحضارة للغلظة التي فيهم، وهذا مناف للعمران بل هو معول هدم له²². كل هته الخصال التي فيهم تحول بينهم وبين الوصول إلى الملك حتى يختلطوا بالدعوة الدينية فتغير من طباعهم وتسموا بأهدافهم. وقد نهنا الجابري حول قضية النسب الضيق أو القريب الذي يربطهم وهم قوم يعيشون في القفر ولا يختلطون بالناس، فتضعف المصلحة المشتركة بينهم بضعف تطلّعهم للجديد في هذه الدنيا، وعليه عصبية كهذه لا يمكن أن تتطور إلى عصبية عامة تصبو إلى الملك والحضارة إلا إذا جاء عامل يذهب عنهم الغلظة والتنافس والأنفة، ويبعدهم عن التنافس والتحاسد وهو عامل الدين أو الدعوة الدينية²³. ومن هنا نجد أن مجتمعات هذا حالها بحاجة إلى وازع²⁴ أسى من شخص قائدهم تتحقق فيه شروط الرياسة والملك، فهو لا يستطيع أن ينحصر في شخص الحاكم أو الرئيس، رغم ما لهذا الأخير من دور فعال في الدولة. وبالتالي فالوازع في هذه المجتمعات يتجسد في كل فرد من أفراد القبيلة أو المجتمع القبلي، يدعوه إلى النهوض من أجل تحقيق هدف أوسع من مطامعهم الضيقة.

حفظ لنا التاريخ بين صفحاته قصص تلك المجتمعات البشرية التي تمكنت من تأسيس دول على أساس ديني، اشتركت في ثلاثة عوامل رئيسية يمكن حصرها كما يلي: قضية جديرة يُتَكَبَّد من أجلها عناء الدعوة، وداعية متميز يمتلك آليات الدعوة وعالم بما يدعو له، مع وجود أرضية خصبة لهذه الدعوة.

2- حالة البلاد قبل ظهور الدعوة المرابطية:

أ الوضع السياسي:

كانت بلاد المغرب الإسلامي مسرحا لدعاة الخوارج منذ بداية القرن الثاني للهجرة، أي بعد أن تعرضوا إلى ألوان من القتل والهزائم على يد الأمويين، وحتى لما آل الأمر لعبد الله بن الزبير في مكة لفترة وجيزة وهو عدو للأمويين لم يقصر في محاربتهم أي الخوارج، لما كانوا يشكلونه من خطر على أهل السنة والجماعة²⁵. فأصبحت بلاد المغرب أرضا خصبة لدعاتهم وذلك لأسباب عديدة نذكر منها ظلم الولاة وجورهم على أهل المغرب ومعاملة أرضهم كأنها أرض حرب، ففرضوا

عليهم الجزية وأثقلوهم بالمغارم والجبايات، كذلك صراع العصبية العربية خاصة بين القيسية واليمنية وما كان له من أثر على المجتمع المغربي، حيث أعطى انطبعا خاطئا عن الإسلام منذ بداياته الأولى، توافق هذا مع البساطة التي تميّز بها فكر الخوارج في طرح دعوتهم واستعمالهم لأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوافقت هذه الدعوة مع فطرة البربر وقوة بأسهم²⁶.

تأسست في بلاد المغرب الإسلامي دول منها ما حسب على الفكر الخارجي كدولة بني مدرار الصفرية، التي اتخذت إقليم تافيلت في المغرب الأقصى مركزا لها، وعاصمة دولتهم سجلماسة على وادي ملوية، وقد قامت على أكتاف العصبية البربرية وبالأخص قبيلة مكناسة، بالإضافة إلى بعض القبائل من صنهاجة وزناتة وزنوج السودان وأهل الرّيض الأندلسيين، كانت نهايتها على يد العبيديين الشيعة²⁷، الذين أزالوا ملكهم دون أن يمكنهم ذلك من السيطرة على قبائل مكناسة بشكل مطلق²⁸.

والدولة الرستمية التي أسسها الأباضيون تحت رئاسة عبد الرحمان بن رستم الفارسي، على أرض تاهرت من المغرب الأوسط، وهي أرض تقع في إقليم عامر بالبربر ذوي المذهب الإباضي، كهوارة ولواتة ومكناسة ومزاتة وملاية، إلا أن قبيلة ملاية كانت أكثر من غيرها تعصبا لهذا المذهب.

بوع ابن رستم كونه كان أحد الخمسة²⁹ حملة العلم إلى المغرب، كما عيّنه أبو الخطاب المعافري³⁰ على أفريقية قبل ذهابه لمحاربة ابن الأشعث³¹ في طرابلس، فكان هذا بداية للزعامة التي سوف تظهر فيما بعد بالمغرب الأوسط، استمرت هذه الدولة حتى سقوطها على يد العبيديين الشيعة³².

أما دولة الأدارسة³³ التي قامت على أكتاف قبيلة أوربة البربرية³⁴ في شمال المغرب الأقصى، والتي لم تحسب للخوارج رغم أن أصلها هي الدعوة الزيدية التي بدأت بزعامة زيد بن علي حفيد الحسين بن علي رضي الله عنه، وتقوّت تحت زعامة محمد النفس الزكية، ذلك أنها كانت تقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وكان ذلك اعترافا ضمنيا بخلافة الصحابة مما جعل جمعا من علماء أهل السنة يؤازرونها كالإمام مالك وأبو حنيفة وغيرهم³⁵، عرفت هذه الدعوة خاصة في مرحلة الضعف تدبدا واضحا فتارة تدخل تحت طاعة الفاطميين وحلفائهم من آل زيري الصنهاجيين ضد الأمويين، وتارة أخرى كانت تداهن أمويي الأندلس على حساب الشيعة وأحلافهم، وتارة أخرى كانت تحاول إرجاع مجدها الغابر بأن تستقل عن الاثنين³⁶، حتى سقوطها النهائي على يد الحملة التي بعثها إلى المغرب المنصور بن أبي عامر والتي تعاونت مع مغاوة وقائدها زيري بن عطية³⁷، والتي تمكنت من الإطاحة بدولة الأدارسة نهائيا سنة 374-984م³⁸.

يعلم مما سبق أن بلاد المغرب الإسلامي قبل ظهور الدولة المرابطية، عرفت دول مختلفة في غالبيتها خارجية، ليس لها سيطرة مذهبية ولا سياسية إلا على محيطها الجغرافي، وخاصة المغرب الأقصى الذي تنازعت عليه الصفرية والزيدية والإسماعيلية والسنة وحتى المتنبيّة، فكان مسرحا لصراعات كانت سجالا بين الفرق المتنازعة، لكن في الغالب عرف منافسة بين الأمويين بالأندلس ومن حالفهم من البربر، والعباسيين بالمشرق ومن حالفهم من البربر، ثم دخلت الدولة العبيدية الشيعية ومن حالفهم من البربر بعد ظهورها في مسرح الأحداث. فبقي المغرب مع بداية القرن الرابع الهجري يعاني عدم الاستقرار السياسي وحتى الديني المذهبي، و شهد غياب كامل للسلطة المركزية. وعليه بقي المغرب ينتظر دوما توازنات جديدة تحقق له الوحدة السياسية ولما لا الوحدة الدينية³⁹.

ب- الوضع الديني العقدي:

الوضع السياسي المتمزق الذي مرت به بلاد المغرب الإسلامي خلق كيانات سياسية مهترئة ومتناحرة وعمق الهوة بين السلطة والمجتمع⁴⁰، هذا ما ساعد على ظهور حركات دينية مع بداية القرن الرابع الهجري وأهمها في المغرب الأقصى حركتي صالح بن طريف وحاميم، وكلتاهما ظهرت في قبائل المصامدة. أما برغواطة⁴¹ فهم الجيل الأول من المصامدة كان موطنهم في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنقى وأسقى، كما ورد ذلك عند ابن خلدون⁴²، كان زعيمهم في بداية المائة الثانية للهجرة هو طريف أبو الصبيح أو أبو صالح وكان تابعا للدعوة الصفرية في المغرب الأقصى

التي كانت بقيادة ميسرة المطغري، فلما انقرضت بقي طريف قائما على أمر تامسنا، ادعى النبوة وتبعه في ذلك ابنه صالح الذي عرف بصالح المؤمنين وكان ظهوره سنة 127هـ-745هـ⁴⁵ على عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي بالشام، وتوالى أبناؤه حكم برغواطة مع إصرارهم على كفرهم وزندقته، ومرت بهم فترات برزوا فيها خاصة على عهد يونس بن إلياس بن صالح بن طريف الذي حرق مدائن تامسنا وفرض هرطقته على الناس بحد السيف، كذلك أبي منصور عيسى الذي سار سيرة آبائه وادعى النبوة وزاول الكهانة، واشتد أمره وعلا سلطانه ودانت له قبائل المغرب. كان لهذه الدولة البرغواطية قتال شديد مع الأدارسة والأمويين بالأندلس والشيعية، ثم إن بلكين بن زيري الصنهاجي تمكن أن يُثخن فيهم، كذلك كان الشأن مع المنصور بن أبي عامر في الأندلس، كذلك كان مع بني يفرن لما استقل أبو يعلى بن محمد اليفرني بناحية سلا بالمغرب، فقاتلهم وغلبهم على تامسنا سنة 420هـ-1029هـ⁴⁶، ثم تراجعوا من بعده عن قتالهم إلى أن جاء عهد المرابطين حيث تمكن أبو بكر اللمتوني من استئصال شأفتهم وقطع دابرهم⁴⁷.

3- الأسس الدعوية التي قامت عليها الدولة المرابطية:

أ - من هم المرابطون:

هم قبائل بربرية تنتمي للبربر البرانس⁴⁸ وهم الطبقة الثانية من صنهاجة و يعرفون بصنهاجة الجنوب⁴⁹، وهم (قوم لا يعرفون حرثا ولا زرا ولا ثمارا، وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم احدهم عمره لا يأكل خبزا إلا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق)⁵⁰، وميزتهم عدم الاستقرار وترحالهم الدائم لاعتمادهم على الرعي والانتجاع، فهم في نمط معيشتهم هته يشبهون العرب⁵¹، كانوا على المجوسية حتى دخلوا للإسلام في المائة الثالثة للهجرة وكان لهم فضل في الجهاد ونشر الإسلام في السودان فأسسوا لهم ملكا، اجتمعت لمتونة وجدالة ومسوفة في حلف⁵² بقيادة لمتونة وزعيمها بعد المائة الثالثة هو يتلوتان بن تلاكاكين⁵³، واستطاع هذا الحلف أن يوحد القبائل الملتمة تحت قيادته ويوجهها للجهاد ونشر الإسلام، وبعد موت يتلوتان هذا حوالي 222هـ/836هـ خلفه حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان ت287هـ/900هـ ثم ولده تميم بن الأثير ت306هـ/918هـ. لكن في هذا العهد نشبت خلافات في هذا الحلف وقتل تميم فافترق أمرهم⁵⁴ وكانوا بطونا فكانت رئاسة لمتونة في بني وارتنطق⁵⁵. ودام هذا الوهن والافتراق حوالي مائة وعشرون سنة إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني الذي كان رجلا صالحا دينا فاجتمعت القبائل عليه ونصبوه أميرا على صنهاجة لمدة ثلاثة سنين إلى أن استشهد⁵⁶ فحل مكانه صهره يحيى بن إبراهيم الكدالي⁵⁷ (أو الكندالي أو الجدالي).

ب- عبد الله بن ياسين الجزولي ودوره الدعوي والجهادي:

واصل يحيى بن إبراهيم الجدالي جهاده في بلاد السودان حتى سنة 427هـ-1035هـ⁵⁸ ثم عين على رأس صنهاجة ابنه إبراهيم وارتحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج⁵⁹، وحين رجوعه حل بالقيروان عند الفقيه أبي عمران موسى بن الحجاج الفاسي نزيل القيروان ومن علمائها ت430هـ-1038هـ⁶⁰، فطلب منه إرسال من يرضاه علما وورعا ليعين أهل المغرب ويجدد لهم دينهم وينقيهم مما شابههم من البدع والشرك، فلم يجد له ضالته في القيروان فنصحته بتلميذه الفقيه وجاج بن زللو اللمطي من أهل السوس الأقصى، وبعث معه كتابا يطلبه فيه أن ينتدب أحد طلابه ممن يتصفون بالعلم والورع وحسن السياسة فبعث وجاج مع يحيى الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي⁶¹.

من هو عبد الله بن ياسين؟

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن علي من قبيلة جزولة الصنهاجية التي تقع في أقصى المغرب قرب جبال درن⁶²، سافر إلى الأندلس وهو شاب فحصل العلم في دولة ملوك الطوائف وذلك بعد عام أربعمائة للهجرة، فمكث هناك سبعة أعوام حصل فيها علوما كثيرة ثم قفل راجعا إلى المغرب الأقصى، فلقى الفقيه وجاج بن زللو في رباطه فلزمه، بهذا جمع بين علم الأندلس والمغرب⁶³.

وهو) من حذاق الطلبة الأذكياء النباهاء النبلاء من أهل الدين والفضل والتقى والورع والأدب والسياسة، مشاركاً في العلوم⁵⁹.

ج- مرحلة الدعوة :

وصل شيخ جدالة يحيى بن إبراهيم إلى قومه وهو مترجل عن فرسه ويقود فرس الشيخ عبد الله بن ياسين⁶⁰ ، فعرفهم به وبين لهم انه معلمهم لتعاليم الإسلام، فلاقوه بالسور وفرحوا به وبالغوا في إكرامه⁶¹ ، بدأ الفقيه عبد الله بن ياسين بدعوة قبيلة جدالة وملتونة وهما قبيلتان لأب واحد⁶² ، فبصرهم بأحكام الشرع يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويمكن أن نتبع خطوات هذه الدعوة كالآتي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن ذلك بيانه لحكم الشرع فيما يتعلق بالزواج أكثر من أربعة حرائر، فأجابه يحيى بن إبراهيم بالسمع والطاعة، كما أنه جعل يدعو أعيان القبيلة وبين لهم الحلال والحرام⁶³ . و تورع عن أكل والشرب من عندهم بحجة أن أموالهم غير طيبة⁶⁴ .

إعراضهم عن الحق:

وجد عبد الله ابن ياسين الناس في جهل وضلالة فهم لا يصلون ولا يزكون وليس لهم من الإسلام إلى الشهادة، والأكثر من ذلك زيغ زعماء القبائل وإصرارهم على الباطل وإعراضهم عن الحق وقد أكدوا ذلك بهجرهم للداعية ونبذوه بل حتى طرده⁶⁵ ، وكان وراء تحريض الناس عليه هو الفقيه الجوهر بن سكم مع رجلين من كبرائهم حيث حرضوا الناس على نهب داره وهدمها⁶⁶ ، إلا أن بعضهم يرجع انقلاب زعماء القبائل (نقصد جدالة وملتونة) على الداعية ابن ياسين سببه موت شيخ جدالة يحيى بن إبراهيم⁶⁷ .

الضرب في الأرض لعبادة الله والدعوة إليه:

لما رأى منهم الداعية هذا الإعراض أراد الرحيل عنهم إلى بلاد السودان التي كانت جديدة عهد بالإسلام، غير أن رفيقه يحيى بن إبراهيم أشار عليه بالتوجه صوب جزيرة في البحر⁶⁸ وبين له أنهم لن يعدموا الرزق، ومرادهم في ذلك كله عبادة الله وحده فوافقه على ذلك الداعية وتبعهم سبعة نفر، وابتنى بهذه الجزيرة رباطاً وسماهم المرباطون، فأقاموا بها ثلاثة أشهر يعبدون الله حتى انتشر أمرهم في القبائل فأتوهم أفواجا حتى بلغ عددهم نحو الألف⁶⁹ .

اغتنم ابن ياسين خلوة المرباطين فاجتهد في تعليمهم أصول الدين والعقيدة فلما لمس فهم رسوخ دعوته قام خطيباً فقال لهم: (يا معشر المرباطين إنكم جمع كثير وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أصلحكم الله.....، إلى أن قال لهم: تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله حق جهاده، فقالوا أيها الشيخ المبارك: مرنا إن شئت تجدنا سامعين مطيعين، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا، فقال لهم اخرجوا على بركة الله وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته⁷⁰).

د- مرحلة الجهاد وتأسيس الدولة (الانتقال من الدعوة إلى الجهاد):

بعد أن بين عبد الله بن ياسين أن أصل دعوته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في خطبته السالفة الذكر، أكد الداعية للمرباطين المنهج الذي يجب أن يتبعوه مع الناس فإن قبلوا كانوا في عز وإن عصوا وأصروا على ما هم عليه فالجهاد فهم حق شرعي حيث قال: (فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)⁷¹ .

وعملاً بقول عبد الله بن ياسين (خرج المثلثون وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل ملتونة وكدالة ومهمومة حتى أنابوا إلى الحق واستقاموا على الطريقة.....وجعل أمرهم في العرب إلى الأمير يحيى بن عمر...)⁷² ، ثم توجهوا لمحاربة مسعود بن وانودين أمير مغراوة وحاكم درعة وسجلماسة سنة 445هـ-1053م فهزموه وقتلوه ودخلوا سجلماسة فقتلوا من كان بها من أهل مغراوة وحاربوا المنكرات وخففوا على الناس.

ولما مات يحيى بن عمر سنة 447هـ-1055م⁷³ قدم المرباطون مكانه أخوه أبا بكر فحثهم على فتح بلاد السوس ففتحوا ماسة وتارودانت سنة 449هـ-1057م⁷⁴ ، وتزوج زينب بنت إسحاق النفزاوية امرأة لقوط بن يوسف المغراوي صاحب أغمات، كما دعا المرباطين إلى جهاد برغواطة الذين كانوا بتامسنا فقاتلهم المرباطون بشراسة لقوتهم أي البرغواطين وكفرهم، وفي بعض هذه المعارك استشهد الداعية عبد الله بن ياسين سنة 451هـ-1059م⁷⁴ ، فواصل جهادهم القائد أبو بكر بن عمر الذي استأصل شأفتهم ومعى أثرهم ودعوتهم⁷⁵ .

واصل الأمير المرباطي الجهاد حتى وصله خبر الخلاف الذي حدث بين قبيلتي لمتون ومسوفة فانصرف إليهم ليهادن بينهم وترك ابن عمه يوسف بن تاشفين خليفة له على صنهاجة، حيث قسم جيشه نصفين الأول معه والثاني مع يوسف. ولما أتم أبو بكر مهمته رجع إلى الشمال ليلم شمل الدولة فوجد يوسف قد استعصى بتحريض من زينب النفزاوية التي طلقها قبل ذلك أبا بكر لتصبح زوجة ليوسف، ولما كان من أهل التقى والعلم وهو من أصحاب الداعية عبد الله بن ياسين، أثر التخلي عن الملك لحفظ دماء المسلمين وبيضتهم، فانصرف صوب بلاد السودان لمواصلة الفتح والدعوة إلى الله دون أن ينسى أن يعرض يوسف بن تاشفين ويخوفه في الله ويذكره بمسؤوليته أمام الله⁷⁶ .

يبين المؤرخ ابن عذارى أن أبا بكر بن عمر وبعد أن خلع نفسه عن الملك وسلمه ليوسف بحضور أشياخ المرباطين، توافق الرجلان على ضرورة مواصلة الجهاد من أجل نشر الإسلام الصحيح كما أكد يوسف أنه لن يقطع أمرا دون يحيى وان لا يستأثر عليه بشيء⁷⁷ ، وهذا ما يؤكد لنا أن هدف الدعوة المرباطية هو نشر الإسلام الصحيح في ربوع هذه البلاد، بدليل تنازل الأمير اللمتوني أبو بكر عن الحكم لابن عمه يوسف بن تاشفين دون قتال وكان بإمكانه أن يقاتله ويريق دماء المسلمين، لكنه فضل التنازل عن الحكم ومواصلة الجهاد في بلاد السودان، وحتى يوسف بن تاشفين ورغم ميوله إلى الزعامة وتعلقه بها إلا أنه لم يمنعه هذا من مواصلة الجهاد في سبيل الله من أجل نشر الدين الصحيح حتى وفاته، وقد عرف عنه الزهد في الدنيا والتقشف⁷⁸ ، ومحاربه للنصارى في الأندلس لما أرادوا استرجاعها من أيدي حكامها الطوائف الضعفاء. ورغم امتداد حكمه على بلاد كبيرة إلا أنه رفض تسميته بأمر المؤمنين التي اعتبرها من أحقية الخليفة العباسي وارتضى باسم أمير المسلمين⁷⁹ .

هـ- حقيقة الدعوة المرباطية

بداية يمكن القول أن أمر الدولة الناشئة كلها كان بيد الفقيه عبد الله بن ياسين فهو الأمر النهائي، فلما استقر أمره عند قبيلة لمتونة أطاعوه وانقادوا لأوامره وكان أشدهم طاعة له أميرهم يحيى بن عمر⁸⁰ ، وقد كان هذا الأمير يمثل أمره امتثالا عظيما كما وصفه به صاحب البيان المغرب، ودليل ذلك أنه أدبه بالسوط في رجله فلم يعترض هذا الأمير ولم يرى في هذا العمل إهانة له أو انتقاصا، وكان منقادا في جميع أموره للإمام عبد الله بن ياسين⁸¹ .

ثم إذا عرجنا على دعوة ابن ياسين فهي لم تكن بغريبة على أهل المغرب الأقصى خصوصا والمغرب الإسلامي عموما، فهي دعوة الناس للرجوع إلى الإسلام الصحيح والابتعاد عن البدع والشركيات، والإمام عبد الله كما سبق معنا كان طالبا عند الشيخ وجاج بن زللو اللمطي بالسوس، الذي أوصاه به من قبل الشيخ أبي عمران الفاسي، وهؤلاء كانوا على مذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى. هذه الدعوة التي بنيت على أساس مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وللمغاربة قصة شيقة مع هذا المذهب إذ أنهم قبلوه قبل ذلك على الأقل مع نهاية القرن 2هـ/8م مع فترة الإمام أسد بن فرات (ت213هـ/828م) وسحنون بن سعيد (ت240هـ/854م) ومدونته المشهورة كذلك ابنه محمد بن سحنون (ت256هـ/870م)⁸² ، لكن ومع سيطرة الدولة العبيدية الشيعية على بلاد المغرب تعرض المذهب المالكي وأتباعه للامتحان والتضييق لكنهم صمدوا حتى أتاهم الله بالفرج على يد المعز بن باديس الصنهاجي (أمير الدولة الزيرية خليفة الدولة العبيدية بالمغرب)⁸³ ، حيث حمل جميع من كان تحت يده من أهل المغرب على إتباع المذهب المالكي واحتوى الخلاف بين المذاهب وقطع دابر الرافضة⁸⁴ .

هذا في المغرب أما أهل الأندلس فقد اعتمدوا على مذهب الأوزاعي فترة من الزمن حتى تمكن مجموعة علماء ربما تجاوز عددهم اثنا عشر عالما أشهرهم الفقهاء زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون والغازي بن قيس من نشر المذهب المالكي فيها ليحل محل الأوزاعي⁸⁵، ثم مكن له (أي للمذهب المالكي) الفقيه يحيى بن يحيى الليثي وقد ساعده في ذلك نفوذه عند سلطان الأندلس⁸⁶.

والمذهب المالكي كما هو معلوم يأخذ بمذهب السلف في الدين (عقيدة وشريعة)، ففي جانب المعتقد يأخذ بظاهر النصوص دون تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل، ومن ذلك قولهم - أي المالكية - في صفات الله عز وجل فهم يؤمنون بها ويمرّونها على ظاهرها، وهم لا يشبهون صفات الخالق بصفات المخلوق ولا يعطلونها بحجة تنزيه الخالق عن مخلوقاته⁸⁷. وهذا ما ذهب إليه غالبية علماء المغرب وتمسكوا به لكن هذا لا يعني عدم تداول بعض فتاوى المذاهب الأخرى، فمثلا نجد أن بعض علماء المالكية في بلاد المغرب كانوا على المذهب المالكي في العبادات لكنهم أخذوا بالمنهج الأشعري في بعض جوانب العقيدة⁸⁸، لكن دون أن يكون لهم منهج واضح في ذلك فكانوا دائما يشار إليهم مالكية مع تعرضهم لردود من قبل قرنائهم سواء المعاصرين لهم أو الذين جاءوا بعدهم⁸⁹.

تعرض علماء الدولة المرابطية لعدة تهمة من قبل المخالفين، ومن ذلك أنهم وصفوا بالمجسمة كذلك أعيب عليهم أنهم اهتموا بكتب الفروع (فروع الإمام مالك) وعملوا بمقتضاها وأهملوا النظر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم⁹⁰، لكن الباحث في شخصية حكام الدولة يجدهم أكثر الناس حبا للعلم وأهله حيث فتحوا أبواب الدولة للعلماء في مختلف الفنون حيث يقول المراكشي (فانقطع إلى أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين - من الجزيرة من أهل كل علم فحواله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم) وكذلك كان عصر ابنه من بعده⁹¹. أما القول بأن المرابطين اهتموا بعلم الفروع مع إهمالهم للعلوم الأخرى وخاصة علم الأصول ومعاينة السلطان بتحريض من العلماء كل من أخذ بعلم الكلام⁹²، فهذا يمكن الإجابة عليه بما ورد عند ابن خلدون في مقدمته حيث قال بعد أن بين سبب ظهور علم الكلام في الدولة الإسلامية (وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة قد كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، أما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إلهاماته وإطلاقه)⁹³. فرغم أن ابن خلدون أسقط هذا الحكم على الفترة التي كان يعيشها أي فترة القرن الثامن الهجري، فهي حسب رأيي تنطبق على الفترة المرابطية إذا علمنا أن المرابطين جاءوا في فترة انهزم فيه المذهب الشيعي ووضع التمكين للمذهب المالكي على يد المعز بن باديس أمير الدولة الزيرية كما سبق معنا، وأن الدولة المرابطية أخذت بالمذهب المالكي كمذهب وحيد للدولة وكانت في المرحلة الأولى لتأسيسها تفرض هذا المذهب وهي ليست بحاجة إلى فقهاء يحسنون علم الكلام للمنافحة عنه.

الخاتمة:

حاولت من خلال هذه الدراسة البحث في جانب من نظرية عبد الرحمن بن خلدون في العمران البشري وإسقاطه على واقع الدولة المرابطية بالمغرب وخلصت إلى ما يلي:

- أساس الدولة في فكر بن خلدون البداوة وهي تقوم على كاهل العصبية القبلية الغالبة على كل العصبية الأخرى محفّزها الرئيسي طلب المعاش (الرزق بمصادره).

- المجتمع البدوي يوجد على أشكال ثلاثة تحددها نحلة المعاش (طريقة العيش) وهذه الأخيرة بدورها تحدد مدى قابلية القبيلة للاستقرار من عدمه، وقد وجد ابن خلدون أن الصنف الثالث من البدو وهم الذين يعتمدون في معاشهم على

تربية الإبل يكتسبون مجموعة من الصفات، كالغلظة وعدم الانقياد لحاكم واحد، والأنفة والخوف من الغريب لعزلتهم عن العالم، ومن ثم الحذر والشجاعة في الدفاع عن المكاسب.

- مع كل تلك الصفات التي تميز أصحاب الصنف الثالث، لا تسموا قبائل هذا حالها إلى إقامة الملك إلا بوجود محقق إن صح التعبير يطهرهم من الصفات القبيحة، ويحيي ويقوي فهم الصفات والخصال الحميدة، وهذا العامل هو الدين أو الدعوة الدينية.

- المجتمع المرباطي في العصر الوسيط ينتمي للصنف الثالث من البدو، أي المبتعدون عن الحضارة المتوغلون في القفار أو هم الذين يصفهم عبد الرحمن بن خلدون بالتوحش، فلم يكن نظام الحكم عندهم موحدًا بل كان لكل قبيلة زعيمها مع كثرة الصراعات الداخلية مما لم يمكنهم من الاتحاد والالتفاف حول أمير واحد.

- جاءت الدعوة المرباطية بزعامة عبد الله بن ياسين كمنقذ للعصبية ومطهر لها من كل ما ثبطها عن النهوض والمطالبة، وقد ساعدها قوة وصدق الداعية هذا من جهة ومن جهة ثانية صفاء ووضوح أهداف الدعوة.

- لكل دعوة حق أعداء، سنة الله في خلقه، نقول ذلك ونحكم على الدعوة بأنها كانت على الحق لأنها جاءت في فترة كثرت فيها البدع والشركيات، فكان لزاما على من عرف الحق أن يبلغ ويذكر من جهله من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبرر الثاني على حكمنا هذا أن الدعوة لم تخرج عن المذهب المالكي، ورغم كل ما تعرضت له من تشويه وتسفيه تمكنت من تأسيس دولة قوية حفظت بيضة الدين وشوكة الإسلام.

- هذه الدعوة الجديدة التي حلت على بلاد المغرب الإسلامي وجدت قاعدة سياسية (القاعدة القبلية) تؤازرها، لكنها سرعان ما تخلت عنها مما دفع الداعية عبد الله بن ياسين بعد عدم نجاحه في الاستقرار عند قبيلة معينة ومن ثم الانطلاق بالدعوة إلى القبائل الأخرى، أن يأخذ بمشورة أصحابه في الاعتزال والمرباطة فكان النصر والتمكين من هذا الرباط.

الهوامش:

- 1- سورة الحجرات الآية 13
- 2- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، اعتنى به شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، سوريا، ط1 1433هـ-2012م، ص. 130
- 3- طَعْنٌ يَطْعُنُ طَعْنًا وَطَعْنًا، بالتحريك، وَطَعُونًا: ذهب وسار، وَالطَّعْنُ سِرُّ الْبَادِيَةِ لِنَجْعَةٍ أَوْ حُضُورِ مَاءٍ أَوْ طَلَبِ مَرْبَعٍ (ربما يقصد مَرْبَعٍ) أَوْ تَحَوُّلٍ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ، أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دار صادر بيروت، ج13، ص. 270-271
- 4- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص. 130-131
- 5- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 129
- 6- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 134
- 7- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 181
- 8- اختلف الدارسون لمقدمة ابن خلدون حول المحور الأساسي الذي دارت عليه نظريته في العمران البشري، فالجباري مثلا يرجع ذلك للدولة، ويعتبرها الأساس الذي تدور حوله نظرية ابن خلدون وليس العصبية أو الصراع العصبي، وكذلك يرى طه حسين، أما ساطع الحصري فيرجع ذلك للعصبية، لكن علي الوردي يفضل الصراع بين البدو والحضر، ومع هذا الاختلاف يبقى دور العصبية واضحا في كل هذه الاتجاهات، من حيث اعتبارها حجر الأساس في هذا النوع من المجتمعات. ينظر محمد عابد الجباري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في الفكر الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6 1414هـ-1994م، ص. 120، كذلك الوردي علي: منطق ابن خلدون (في ضوء حضارته وشخصيته)، دار كوفان، لندن، ط2 1414هـ-1994م، ص. 74 وما بعدها. الحصري ساطع: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، ط3. 1386هـ-1967م، ص. 33، طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد، نقله إلى العربية محمد عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد مصر، ط1 1343هـ-1925م، ص. 58

- ⁹- هذا المفهوم الجديد للنسب ذكره محمد عابد الجابري حيث بين أن النسب الذي كان يجمع القبيلة لا يقتصر على النسب الحقيقي الذي يُتوارث أبا عن جدّ، بل يجب أن يتوسّع لكي يشمل ثمرة النسب، ومن ذلك يدخل الحلف والولاء والفرار والاحتفاء ويمكن أن يلحق به المصطنعين والعيبد. وقد اعتبر الجابري أن الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه العصبية هو شيء آخر أوسع من النسب حقيقيا كان أو وهميا، إنه المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة. محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص. 172.
- ¹⁰- الجابري، نفسه، ص. 174-176، كذلك إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت لبنان، ص. 225.
- ¹¹- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق: ص. 148-149.
- ¹²- أواميل علي: الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط. 4، 2005م، ص. 195.
- ¹³- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص. 160.
- ¹⁴- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 166.
- ¹⁵- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 167.
- ¹⁶- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 168.
- ¹⁷- مسند الإمام أحمد ج 14 رقم الحديث 8987.
- ¹⁸- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص. 168.
- ¹⁹- بمعنى وجود العصبية لكنها تكون خاملة يوقدها الدين أو الدعوة الدينية.
- ²⁰- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص. 158 و 160.
- ²¹- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 159.
- ²²- عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص. 158-159.
- ²³- محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص. 187-188.
- ²⁴- الوازع هو الذي يصدّ الظالمين ويحمي المظلومين وهذا هو معنى الملك، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص. 53.
- ²⁵- حول بيعة ابن الزبير وأحوال فترة حكمه ينظر ابن الأثير أبي الحسن علي (ت 630هـ-1233م): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط. 1 1407هـ-1987م، ج 3 ص 463 وما بعدها.
- ²⁶- محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخواص في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة المغرب، الطبعة الثانية 1406-1985، ص. 30-41.
- ²⁷- استمرت هذه الدولة من 140هـ-757م إلى 297هـ-911م، محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع نفسه، ص. 112 و 127، بن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، الجزء الأول 1388-1968، ص. 119-120.
- ²⁸- حتى قضى عليها نهائيا حزنون بن فلفول من ملوك مغراوة، حليف المنصور بن أبي عامر حاجب الخليفة الأموي هشام في الأندلس. عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ضبطه خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر 1431-2001، ج 6، ص. 184.
- ²⁹- كانوا في البداية أربعة دعاة وهم عبد الرحمن بن رستم نزيل القيروان، وعاصم السدراتي من غرب الأوراس في المغرب الأوسط، وإسماعيل بن درار الغدامسي من جنوب طرابلس، وأبو داود النفاوي من نفزاوة بجنوب أفريقية، ثم انظم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح (المعافري) وهو من دعاة الأباضية في اليمن، كلهم توجهوا نحو البصرة وأقاموا بها حوالي خمسة سنين يدرسون المذهب الأباضي على يد الشيخ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة تمهيدا لرجوعهم إلى بلاد المغرب بغية تأسيس الدولة الأباضية هناك. ينظر محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضاراتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس)، دار القلم الكويت، الطبعة الثالثة 1408-1987، ص. 81-82،
- ³⁰- تزعم المعافري أبي الخطاب هذه الجماعة فأصبح رئيسا لهم.
- ³¹- محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص. 76.
- ³²- استمرت من سنة 160هـ/776م إلى 296هـ/907م. محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص. 91 و 185.
- ³³- استمرت هذه الدولة من 162هـ-م إلى 365هـ.
- ³⁴- بالإضافة إلى قبائل أخرى استعان بها إدريس الأول في تأسيس دولته كزنانة وصنهاجة وهوارة وغيرهم، محمود إسماعيل: الأدارسة حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 1411-1991، ص. 60-61.
- ³⁵- محمود إسماعيل: نفسه، ص. 21-30.
- ³⁶- محمود إسماعيل: نفسه، ص. 163.

- ³⁷- هو قائد مغراوة الذي حكم معظم المغرب الأقصى والأوسط تحت دعوة الأمويين في الأندلس وقائد دولتهم الحاجب المنصور بن أبي عامر. ابن أبي زرع الفاسي: الأئیس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار منصور، الرباط 1972، ص 102 وما بعدها.
- ³⁸- محمود إسماعيل : المرجع السابق، ص. 172.
- ³⁹- إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر ، الطبعة الأولى 1995، ص. 21-22⁴⁰ - إبراهيم القادري: نفسه، ص. 21.
- ⁴¹ سوف نتطرق للدعوة البرغواطية دون دعوة حاميم ذلك أن الدعوة الأولى كان لها أثر سياسي على المنطقة على خلاف الدعوة الثانية. إبراهيم القادري: المرجع السابق، ص 13.
- ⁴²- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص. 276.
- ⁴³- ابن خلدون: نفسه، ج 6، ص. 276-280.
- ⁴⁴- البربر جذمان عظيمان برنس و مادغيس الملقب بالأبتر، والبرانس عند النسيان تجتمع في سبعة قبائل كبيرة وهي: أزداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة ووأوريغة ، وأضيف لها: لمطة وهسكورة وكزولة. مع الخلاف المشهور حول كون صنهاجة وكتامة ليست من البربر بل هما قبيلتان عربيتان من اليمن نزحتا مع إفريقش بن صيفي باني إفريقية حين غزا هذه البلاد. عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج 6 ص 117.
- ⁴⁵- صنهاجة هي ثلاثة طبقات : صنهاجة إفريقية والمغرب الأوسط وكان منها الدولتين الزيرية والحمادية، وصنهاجة الجنوب التي كانت أصل الدولة المرابطية ، وهناك طبقة أخرى غير ذات أهمية وهي صنهاجة الريف، وكذلك يمكن التمييز بين صنهاجة الشمال أهل مدر وصنهاجة الجنوب وهم أهل وبر. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 16.
- ⁴⁶- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 120.
- ⁴⁷- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، ص 16، عُرِفَت قبائل صنهاجة الجنوب بالترحال وعدم الاستقرار يتنقلون ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام (يعني الكاتب ببلاد الإسلام بلاد المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى)، مؤلف مجهول(مؤلف أندلسي من القرن الثامن هجري): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى 1399-1979، ص 17.
- ⁴⁸- اتجه جهاد هذا الحلف صوب الجنوب ولم يتجه شمالا حتى لا يصطدم بقوة الأدارسة وكذا المصامدة . عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1408-1988، ص 52.
- ⁴⁹- هكذا ذكره ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 120، أما البكري فقال هو تين يورنان ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، ص 159، وابن خلدون يذكره تلاكاكين وورثكا اوراكن بن ورتنطق وهو جد أبو بكر بن عمر اللمتوني أمير لمتونة في مبتدأ دولتهم. تاريخ ابن خلدون ج 6، ص 241 وهو يقصد الأمير المستقبلي للدولة المرابطية بعد أخيه يحيى.
- ⁵⁰- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 121.
- ⁵¹- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج 6، ص. 242.
- ⁵²- كانت وفاته في سنة 429هـ-1034م أو 431هـ-1038م، ينظر دندش: المرجع السابق، ص 54.
- ⁵³- ابن أبي زرع: المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ⁵⁴- حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة 1997، ص 37.
- ⁵⁵- ذكر ابن الأثير هذا الزعيم الكدالي باسم "جوهري"، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 1407هـ-1987م، ج 8، ص. 328. لكن وعلى ما يبدو فقد اختلط عليه الأمر فجوهري هذا هو الجوهري بن سحيم أو سكتيم الفقيه الذي ألب الناس على ابن ياسين حين ملؤا من دعوته . ينظر ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإليفي بروفانسال، دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1983، ج 4، ص 8 و البكري: المصدر السابق، ص 165 الذي ذكره باسم سكم .
- ⁵⁶- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 122-123 ، البكري: المصدر السابق، ص 165.
- ⁵⁷- دندش: المرجع السابق، ص 62 غير أن الكاتب يحاول أن يرجع أصل عبد الله بن ياسين إلى قرية تيماما ناوت التي تقع في طرف صحراء مدينة غانة، وهو بذلك يتوقع أن أصله يرجع لقبيلة جدالة المتواجدة بالقرب من منطقة السنغال، وينسب ذلك للبكري ، لكن البكري في كتابه المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ذكر أن أم ابن ياسين وهي (تين يزمارن) من أهل جزولة من قرية تسمى تاماناوات في طرف صحراء

مدينة غانة. ولم يذكر أباه وأصله ونعلم أن الولد ينسب لأبيه، البكري: المصدر السابق، ص. 165، كما أن عدد كبير المؤرخين أرجعوا أصل عبد الله بن ياسين إلى قبيلة جزولة ولم يأتوا على ذكر جدالة كابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 243 وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 123.

⁵8- دندش: المرجع السابق ص. 46-63

⁵9- ابن أبي زرع: المصدر السابق ص. 123، وصفه صاحب الأنيس ب: (المجاهد المرباط الورع الزاهد الصوام القوام، مهدي المرباطين). ص. 124

⁶0- هذا التواضع الذي صدر عن شيخ جدالة يدل على ورعه وحسن نيته في نشر الإسلام الصحيح بين أبناء عشيرته، ولكي يكسب للداعية عبد الله بن ياسين الوقار والطاعة في هذا المجتمع القبلي البدوي الذي لا يعطي الطاعة للغرباء.

⁶1- ابن أبي زرع: المصدر السابق. ص. 123 ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج. 4، ص. 8

⁶2- الناصري أبي العباس أحمد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء 1954، ج. 1، ص. 99

⁶3- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص. 124

⁶4- البكري أبي عبيد: المصدر السابق، ص. 165

⁶5- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص. 124.

⁶6- البكري أبي عبيد: المصدر السابق، ص. 165

⁶7- تفرد بهذا القول عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج. 6، ص. 243 وهنا لا يفوتنا أن نبيّن أن هذا التنصل الذي صدر عن زعماء القبائل للدعوة المرباطية أفقدها شرط أساسي لقيام الدولة وهو قوة العصبية القبلية التي تحميها،

⁶8- هذه الجزيرة هي في بحر الظلمات أو بحر دقيانوس كما كان يسمى قديما (المحيط الأطلسي)، إذا انحسر عنها الماء تمكن الوصول إليها مشيا وإذا رجع الماء عبر إليها بالزوارق. ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص. 124-125، الناصري أبي العباس أحمد: المرجع السابق ج. 1، ص. 100، حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص. 40

⁶9- وصف ابن خلدون الذين التحقوا بالرباط من القبائل بقوله (وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبة من خير، فتسايلاو إليهم ودخلوا في دينهم وغيضتهم). تاريخ ابن خلدون، ج. 6، ص. 243 وهذا الكلام له مدلولين حسب رأينا. الأول أن الغالب على الناس في هذه الفترة هو الجهل والبعد عن الدين والثاني أن الدعوة الدينية قامت على ظهر المؤمنين المريدن للحق ولم تعتمد على العصبية القبلية رغم ضمها لبعض الزعماء الأعيان من هذه القبائل كبحا بن عمر بن تلاكين وأخوه أبا بكر من رؤساء ملتونة و يحيى بن إبراهيم زعيم جدالة وغيرهم. وأما أن نحمل قول عبد الله بن ياسين حين خطب في المرباطين قائلا: (يا معشر المرباطين إنكم جمع كثير وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أصلحكم الله...) ، أن الألف الرجل الذي اجتمعوا حوله في الرباط كلهم كانوا من وجوه القبائل وزعمائها ففيه غرر وهذا مردود عقلا فلا يمكن أن تجتمع قلوب الزعماء في نفس الوقت على الداعية، وكذلك ما ينفي ذلك أن عبد الله بعث الناس كل إلى قبيلته بدعوها للحق فلما لا قوا إعراضا ونفورا جمع شيوخ القبائل ووجوهها فخوفهم بالله لكنهم كانوا أصم من الرعية ، فلم يجد بدا من غزوهم وقتالهم.

⁷0- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 125 الناصري: المرجع السابق، ج. 1، ص. 100

⁷1- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 124-125 الناصري: المرجع السابق، ج. 1، ص. 100

⁷2- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 243

⁷3- يحيى بن عمر من قبيلة ملتونة اختاره عبد الله بن ياسين ليحل محل الزعيم يحيى بن إبراهيم الجدالي بعد وفاته ليكون أميرا للمرباطين، وقد كان اختياره من تلك القبيلة أي ملتونة كونها كانت من بين قبائل صنهاجة الأكثر طاعة لله تعالى دينا وصلاحا، الناصري: المرجع السابق، ج. 1، ص. 101

⁷4- اتفق صاحب الأنيس وصاحب الاستبصار على هذا التاريخ وجعله ابن خلدون سنة 450هـ-1058م، ينظر ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 132 والناصري: المصدر السابق، ج. 1، ص. 105 وعبد الرحمن بن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج. 6، ص. 244

⁷5- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 244

⁷6- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 243، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 133-136 كذلك حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص. 46-50

⁷7- المصدر السابق، ج. 4، ص. 25

- ⁷⁸- كان جوادا زاهدا في الدنيا لباسه الصوف، أكله الشعير رغم تربيته على عرش كبير يمتد من جزء كبير من الأندلس، ومن جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان، لم يفرض المكوس ولا الخراج إلا ما أمر الله به، عمل بالقضاء الشرعي وأسقط ما دون ذلك، وكان مكرما للعلماء والصالحين مقربا لهم. بن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 136
- ⁷⁹- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج. 4، ص. 27-28
- ⁸⁰- حكم بعد موت الشيخ يحيى بن إبراهيم الجدالي ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج. 4، ص. 9
- ⁸¹- ابن عذاري المراكشي: نفسه، ج. 4، ص. 11-12
- ⁸²- الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، منشورات تبر الزمان، تونس 2004، ص. 27
- ⁸³- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص. 84، 85
- ⁸⁴- الناصري: المرجع السابق، ج. 1، ص. 61
- ⁸⁵- نجم الدين الهنتاتي: المرجع السابق، ص. 37
- ⁸⁶- الناصري: المرجع السابق، ج. 1، ص. 61 لكن هناك رواية أخرى تذهب إلى أن انتشار المذهب المالكي في الأندلس كان نتيجة تزكية الإمام مالك لأئمة الأندلس عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) لما وصله عنه من تواضع وزهد فقال الإمام مالك (ليت الله يزين حرمانا بمثله)، وقد عان مالك كثيرا بسبب مقولته هذه مع الخليفة العباسي. نفس المرجع نفس الصفحة.
- ⁸⁷- إبراهيم التهامي: الأشعرية في المغرب دخولها، رجالها، تطورها، وموقف الناس منها، دار قرطبة ط 1 الجزائر، 2006. ص. 5
- ⁸⁸- لم يكن المذهب الأشعري متواجدا بالمغرب الإسلامي بشكله المتكامل إلا مع دعوة محمد بن تومرت الموحي، لكن قبل ذلك يمكن القول أن بعض العلماء في بلاد المغرب تأثروا بالمنهج الجدلي وأولوا بعض المسائل المتعلقة بأسماء الله تعالى وصفاته، دون أن يتأثر به كل العلماء المغاربة فضلا على أن يتبعوه. إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص. 7
- ⁸⁹- حول بعض علماء المغرب الذين كانوا متأثرين بأفكار الأشعرية ينظر إبراهيم التهامي: المرجع السابق ص. 9 وما بعدها
- ⁹⁰- أسامة عبد الحميد حسين: فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، مجلة سامري، المجلد الأول، العدد الأول، ص. 91
- ⁹¹- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الأولى 1980، ص. 337، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1406-1986، ص. 174-175
- ⁹²- ومن ذلك إحراق كتاب الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني القاهرة، ص. 236-237
- ⁹³- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج. 2، ص. 214